الشعب العربي الأهوازي بين العلاقات العشائرية والمجتمع المدني

شوفينيون فرس كرّسوا اضطهاد القوميات وإنكار حقوقهم في فكر السياسيين الايرانيين

هذه نص محاضرة القيت في مبنى لجنة الوفاق في مدينة الاهواز قبل فترة.

تحياتي لجميع الحاضرين والمجتمعين هنا.

كانت لي مساء امس كلمة باللغة الفارسية حول الديمقراطية والقضية القومية في ايران. فهذه الليلة اريد ان اتحدث عن العلاقات العشائرية والعلاقات المدنية بين شعبنا العربي الاهوازي.

من هم عرب الاهواز؟ وما هي هويتهم؟ هل هم شعب؟ وما هي علاقتهم بسائر الشعوب الايرانية وايضا الشعوب العربية المجاورة لهم؟

لا شك انها مصطلحات ومفاهيم لا أريد أفصل فيها لأن الوقت قصير والطقس ساخن. لكنني أريد ان اؤكد ان العرب في محافظة خوزستان او الشعب العربي الاهوازي يتميز بكل ما يتميز به اي شعب في العالم اي انه يتميز باربعة عوامل مهمة تحدد هوية اي شعب او قومية في هذه المعمورة.

اولا ــ لغته وهي اللغة العربية ــ لغة القرآن ــ معروفة للجميع. ثانيا ــ له جغرافية واحدة ومشتركة يعني ان هذا الشعب يقطن منطقة في جنوب غرب ايران تبدأ من مدينتي شوشتر ودزفول شمالا الى جزيرة عبادان ومدينة القصبة جنوبا ومن الحويزة غربا الى الصويرة من توابع مدينة هنديان شرقا. هذه هي الرقعة الجغرافية التي يسكنها هذا الشعب وهي الارض المشتركة التي يسكن فيها شعبنا العربي الاهوازي.

العامل الثالث ــ هو التاريخ المشترك اي ان هذا الشعب يتمتع بتاريخ عريق يبدأ بقرون قبل الاسلام ويستمر حتى الان وسوف يستمر. وكان لهذا الشعب في القرون المنصرمة سيادة او دولة ــ اما كانت في اطار الامبراطورية الاسلامية ــ واما في اطار الدولة الايرانية او خارج منهما. ولا ننسى ايضا دولتهم أي دولة ميسان في عهد الساسانيين قبل الاسلام.

يوسف عزيزي

يوسف عزيزي - طهران

والجميع يعرف انه قبل قيام الحكم البهلوي كان هناك نوع من الفدرالية التقليدية في ايران وكان الحكام في مناطق الشعوب والقوميات الايرانية يتمتعون بنوع من الحكم الذاتي كما كان يتمتع المرحوم الشيخ خزعل الكعبي وقبله أيضا كانت سلالة المشعشعيين والكعبيين.. الخ وكان الشيخ خزعل هو اخر حاكم عربي لهذه المنطقة.

وأما العامل الثقافي والنفساني، هناك مميزات في عرب ايران تميزهم عن سائر الشعوب الايرانية منها ميزات نفسية وميزات ثقافية. فهناك تقاليد وسنن ونفسانيات خاصة نستطيع ان نتعرف عليها بسهولة وهي ميزات تميز العربي في محافظة خوزستان (الاهواز) عن الاصفهاني او الكردي او الطهراني.

وهناك عاملان يربطان الشعب العربي الاهوازي بسائر الشعوب الايرانية هما: (الايرانية) و(الاسلامية).

الايرانية هي الجغرافية والتاريخ المشترك - نسبيا - بين هذا الشعب والشعوب الايرانية الاخرى. وأقول نسبيا لان الخريطة الجغرافية كانت تتغير عبر التاريخ لما يسمى اليوم بلاد (ايران) وسابقا بلاد الفرس غير ان هذه الجغرافية - التاريخية كانت تضم في احضانها وفي أغلب الفترات عرب الاهواز. ولا أعني بالاسلامية الدين فحسب بل الحضارة والثقافة الاسلامية.

والدين هو جزء من هذه الثقافة والحضارة التي سادت في فترة من الزمن رقعة كبيرة من العالم اجمع واثرت عليه أكبر تأثير.

وأما علاقاتنا مع الشعوب العربية الاخرى تشمل اللغة والدين ونوعا ما الثقافة المشتركة. مثلا نحن نشترك مع المصريين والخليجيين باللغة ونوعا ما الثقافة المشتركة ومع العراقيين باللغة والثقافة والمذهب المشترك والجوار لكن تاريخنا وجغرافيتنا قلما كانت مشتركة، وفي هذين المجالين كنا مع الايرانيين اكثر من العرب.

العلاقات العشائرية بين العرب في الأهواز

وأما كيف نحدد العلاقات العشائرية وكيف نواجهها؟ هناك نظرتان للقضية العشائرية بين مثقفي شعبنا. نظرة تعتقد كل الاعتقاد بوجود العلاقات العشائرية وتعزيزها وتدعي ان شعبنا العربي باكمله شعب عشائري قبائلي لا يزال يعيش في نسيج عشائري. ونظرة ثانية تنفي بتاتا وجود أي علاقات عشائرية بين المجتمع العربي الاهوازي. فبرأيي ان النظرتين خاطئتان. مجتمعنا العربي الاهوازي منذ اكثر من 100 عام بدأ يتخلص بالتدريج من هيمنة العلاقات العشائرية. فهذه العلاقات قائمة حاليا في الدرجة الاولى في القرى وعلى هامش المدن وضواحيها ولاشك ان شبحها يخيم على المدن نفسها، أي انها ليست منتهية نهائيا من حياتنا الاجتماعية، لكن ليس لها وة الحسم للامور بشكل نهائي كما كانت تقرر مثلا قبل 60 او 70 او100 عام قبل الآن. العلاقات العشائرية تقوم على مفهومي الشيخ والرعية وتقاليد لا تتلائم مع الحياة المدنية الحديثة وشعارها (ساند اخيك ظالما او مظلوما) وهذا يتناقض مع المجتمع المدني والعلاقات المدنية. ونحن نعرف ما عانى منه شعبنا من علاقات خاصة بين الشيخ والرعية وما شابه ذلك.

العلاقات العشائرية علاقات قديمة تعود الى قرون قبل الاسلام ولها ايضا قوانينها وحيثياتها ومع الاسف دفع شعبنا ثمنا باهظا لهذه العلاقات ولايزال يدفع.

فعلينا ان نعرف هذه الظاهرة وندرسها ونسعى لاضعافها سياسيا او تجاوزها.

كما ان هناك اراء تعتقد بايجابية العلاقات العشائرية بين شعبنا لمواجهة قضية التفريس. هذه الاراء أيضا جديرة بالنقاش حيث لم يطرحها بعض المثقفين والمفكرين من شعبنا فحسب بل هناك سمعت من مثقفي بعض القوميات الأخرى.

يقولون ان النسيج العشائري وتقليد (الفصل) و(النهوة) وما شابه ذلك هو الذي صانكم من المد التفريسي، فهذه امور ينبغي التدقيق فيها ودراستها دراسة علمية قبل دحضها او القبول بها.

فباعتقادي ان العلاقات العشائرية منذ فترة لا تلعب الدور الاول في مجتمعنا الاهوازي وما شاهدناه في الدورة السادسة للانتخابات البرلمانية من منافسة شيخ من اكبر قبائل المنطقة مع مرشحي جمعية (لجنة الوفاق) - وهي مؤسسة مدنية عربية في الاهواز - حيث تأخر هذا الشيخ حتى من المرشح الثالث للجنة يظهر ان شعبنا قام بخطوات لا بأس بها لارساء المجتمع المدني وايجاد المؤسسات المدنية قياسا لسنوات خلت. فلهذا نرى ان اصوات هذا الشيخ اقل من المرشح الثالث للجنة الوفاق وهذه قضية مهمة تنبغي دراستها حيث تظهر اعتلاء وارتقاء مدى وعي شعبنا تجاه ظاهرة الشيوخ والقضايا العشائرية.

كيف يجب ان نواجه القضية العشائرية وهي قضية عصية على الزوال وقائمة رغم انعدام البنية التحتية لها والتي كانت تستند عليها في غابر الزمان؟ يبدو انه يجب علينا ان نواجهها بدراية وهدوء وأولى واجباتنا في هذا المجال هو الترويج للمؤسسات المدنية وذلك بتشكيل الاحزاب - سمحوا لنا او لم يسمحوا - كما ينبغي ان نطالب بتشكيل مؤسسات مهنية وثقافية، يجب ان نطالب بهذه الاشياء لان الحق لا يعطى بل يؤخذ وهذا الامر معروف. لكن ايضا علاوة على ارساء المؤسسات المدنية والسعي لاضعاف العلاقات العشائرية البالية ينبغي ان نعمل لعصرنة العلاقات العشائرية اي نحاول ان نمقرطها ونضفي عليها صفة ديمقراطية. كيف؟ اتذكر انه قبل 10 او 15 عاما قام بعض الشباب العرب الدارسين بخطوة مناسبة في مجال عصرنة العلاقات العشائرية حيث طرح هؤلاء ضرورة قيادة العشيرة بواسطة (الشورى) وان تنزع من شيخ غير متعلم ورث قيادة العشيرة او القبيلة من أبيه وجده، بل يجب ان يكون هناك جامعيون دارسون يتولون قيادة العشيرة او القبيلة. فقد كان هذا ابتكارا لطيفا ومناسبا ولا بأس ان كانت هناك انواع اخرى من هذه الابتكارات.

التركيبة العشائرية ليست موجودة عند عرب الاهواز فقط بل قائمة في مجتمعات عربية اخرى مثل البحرين والكويت والامارات العربية المتحدة والعراق وحتى في فلسطين ايضا. لكن الفرق بيننا وبينهم مثلا توجد في الكويت والبحرين والامارات مؤسسات ثقافية وصحفية تقوم بتثقيف الناس بالثقافة الحديثة وتبعدهم عن التقاليد العشائرية البالية حيث توجد لديهم صحافة بلغتهم العربية وتلفزة واذاعة واتحادات كتاب وشعراء وفنانيين و... الخ. ولا توجد لدى عرب ايران مثل هذه المؤسسات الثقافية والصحفية والمدنية ونحن نطالب بتأسيس مثل هذه المؤسسات في اطار الدستور، لكن مع الأسف قد حرمنا منها طوال السنوات الماضية ولم تمض سنة او أكثر حتى اصبحت عندنا صحيفة او صحيفتان باللغتين العربية والفارسية لشعب يبلغ عدد سكانه اكثر من 3 ملايين نسمة.

فعليه نحن بتنا متخلفين قياسا بالفرس في الداخل والعرب في الخارج. والأسباب هي حرماننا من المؤسسات الثقافية والسياسية والمدنية الخاصة بنا كعرب اهوازيين، وقد شمل الحرمان هذا حتى الشيء المنصوص عليه في الدستور واهم شيء في هذا المجال هي المادة 15 من الدستور الايراني حيث تصرح على التعليم بلغة الام اي بلغة القوميات الايرانية غير الفارسية المختلفة. لكن مع الاسف بعد 23 سنة من قيام الثورة لاتزال هذه المادة حبرا على ورق. ونطالب نحن الاصلاحيين وحكومة الرئيس خاتمي القيام بتنفيذ هذه المادة، حيث وبسبب عدم تعلم شعبنا العربي الاهوازي بلغته العربية اخذت هذه اللغة القرآنية تضمحل - او اذا كنا متفائلين - تضعف في محافظتنا.

أزمة الهوية وأسبابها

□ ما هي اسباب معاناتنا نحن الاهوازيين؟ وهل نعاني حقيقة من ازمة هوية؟ ومتى تبدأ هذه الازمة؟

- أقول ان هذه الازمة قائمة وتبدأ عندنا في السن السابعة من عمر اطفالنا. واعني ان الطفل عندما يدخل المدرسة في السادسة او السابعة من عمره يدخل في شبكة الازمة وها هي نقطة الانطلاق في ازمة هوية هذا الشعب. لماذا؟ لان اللغة هي الفكر اي ان اللغة التي تؤسس على اساس الابجدية هي التبلور المادي للفكر. فاذا تعثر اللسان او اذا ضعفت اللغة واذا لم نتمكن من تعلم لغتنا فسوف ننسى لغة ابائنا وامهاتنا اولا ولم نتعلم ايضا اللغة الثانية - الرسمية - بسهولة، لان الشيء الذي تم تزريقه في دمائنا منذ الولادة هو لغة امهاتنا اي اللغة العربية. فقد يتكلم الآباء والأمهات باللغة العربية مع أبنائهم قبل السن السابعة في هذه المحافظة فعندما يدخل الطفل المدرسة يواجه لغة ثانية وهي لغة عارضة نوعا ما ولا اقول لغة اجنبية بل لغة ثانية وهي لغة بلادنا الرسمية التي نحترمها غير انها تبقى لغة ثانية. فعليه ان علماء علم النفس الاجتماعي وعلم الاجتماع يؤكدون ان الطفل ومن اجل تنمية تفكيره بشكل جيد يجب ان يتعلم لغة امه في الدرجة الاولى. فحينما تفرض عليه لغة ثانية وينقطع عن لغة امه - وهي العربية او التركية او الكردية - فيبقى حائرا حيث لم يتعلم لا اللغة الجديدة بشكل جيد ولا الاولى التي ينقطع عنها اضطرارا.

فعليه نشاهد مستوى الدراسة بين العرب هو أدنى بكثير قياسا بالفرس، لماذا؟ لان الطفل لم يدرس بلغة امه وابيه. ولمعالجة هذه المشكلة التعليمية - الاجتماعية طرح علماء الاجتماع والتعليم عدة حلول منها التأكيد على تدريس لغة الام الى جانب اللغة الرسمية حيث ان الدستور الايراني ايضا يؤكد على هذه النقطة.

فهناك - مع الاسف - قوى قومية متشددة فارسية لاتهمها الوحدة الوطنية الايرانية ولا تريد السعادة والرقي للشعوب الايرانية، فهي عارضت وتعارض تطبيق الفقرة 15 من الدستور لكننا سنستمر وسنطالب بهذه القضية ولا نكل ولا نتعب.

وسعينا الاخير وليس الاخر هو الرسالة التي بعثت الى رئيس الجمهورية ونسخ منها الى مرشد الثورة ورئيس البرلمان ومسؤولين كبار اخرين حيث وقع عليها أكثر من 770 مفكراً ومثقفاً وكاتباً وشاعراً من كافة القوميات الايرانية اي الترك والكرد والعرب والبلوش والتركمان.

نطفة التخلف عند القوميات غير الفارسية تنعقد في سن السابعة

فعندما لم نتعلم لغتنا الأم - العربية كانت أم الكردية - في الابتدائية لم نستوعب اللغة الرسمية الفارسية، وهذا يؤدي الى الانصراف عن الدراسة والمدرسة حيث يصبح عندنا جيش من التاركين للدراسة أي جيش من المتخلفين. وتقول الاحصائيات ان 34 في المائة من التلاميذ العرب الاهوازيين ينصرفون عن المدرسة في المرحلة الابتدائية، وتبلغ هذه النسبة اكثر من 50 في المائة في مرحلتي الاعدادية والثانوية.

فالتخلف اللغوي يوجد التخلف الثقافي والتخلف الثقافي يوجد التخلف الاجتماعي. فيمكن مشاهدة هذا الجيش من العاطلين عن العمل في مجتمعنا العربي الاهوازي من دون الحاجة الى عين مسلحة. لماذا؟ فاذا ساعد الحظ العربي الاهوازي يهاجر الى دول الخليج بعيداً عن وطنه ويعمل هناك في اصعب الظروف واقذر الاعمال، ومع كل هذا يعتبر نفسه احسن حظا من الاخرين العاطلين عن العمل في وطنه.

واما التخلف الاجتماعي يتجلى في النسبة المرتفعة من الجرائم في محافظة خوزستان (الاهواز) وهي متفشية بين شعبنا مثل جرائم الشرف او الثار القبلي والعشائري.

فانظروا الى الادمان المستشري بين شبابنا وغير شبابنا والذي لم تشهد له مثيل محافظتنا قبل قيام الثورة وقبل اندلاع الحرب العراقية - الايرانية اساسا. والمحافظة هي في الدرجة الثالثة او الرابعة بعد طهران وخراسان وهمدان. اذ تقع محافظة اصفهان في الدرجة الادنى من محافظتنا بالرغم من تجاوز عدد سكانها من سكان محافظة خوزستان (الاهواز).

ومع الاسف لم يبحث المسؤولون او المعنيون عن اسباب هذا التخلف ويرون السطح ولايرون العمق حيث باعتقادي له اسباب قومية - ثقافية.

فكل هذا التخلف بين القوميات غير الفارسية وخاصة هنا بين عرب الاهواز تنعقد نطفته في سن السادسة من عمر الطفل العربي لانه يمنع من التعليم بلغة امه في الابتدائية وهي اللغة العربية.

فلهذه الأسباب بتنا نحن العرب الاهوازيين متخلفين قياسا بالمواطنين الفرس الايرانيين ومتخلفين قياسا بأخوتنا العرب في دول الخليج. فلذلك علينا ان نناضل وننشط من اجل مطالبة حقنا خاصة وانه مذكور في الدستور الايراني وهو التعليم باللغة العربية وهي لغة القرآن ولغة الائمة ولغة الادعية وكل ما يتصل بالدين والمذهب.

الاصلاحات والديمقراطية والعلاقات العشائرية

الاصلاحات هي حركة قامت بها كافة الشعوب الايرانية في عام 1997 وقد شارك العرب الاهوازيين في انتخاب الرئيس خاتمي في تلك السنة وبنسبة كبيرة من الاصوات. وقد تمت مساندته من اجل برامج محددة أشار اليها في برنامجه الانتخابي. فبعض هذه الاهداف - وهو القليل - تحقق والبعض الكثير لم يتحقق حتى الان، مثلا أصبحت عندنا حرية للرأي والتعبير وهكذا أخذنا نقيم اجتماعاتنا الثقافية وأمسياتنا الشعرية والموسيقية ومهرجاناتنا من دون خوف أو قلق كي نعبر بصراحة عن أهدافنا وقضايانا. كما انتم تعرفون ان في مدينة الاهواز اصبحت عدة مؤسسات مدنية ثقافية غير حكومية من نوع (ان جي او) مثل مؤسسة الاحرار في حارة الدايرة (شلنغ آباد) ومؤسسة الانوار في الملاشية ونسيم كارون في كوت عبد الله ومؤسسات أخرى في الزوية وشيبان وحارات اهوازية اخرى، وتقوم هذه المؤسسات بنشاطات اجتماعية وثقافية تخدم ثقافتنا العربية هنا.

كما أصبحت هناك صحافة فارسية متطورة (ولو انها تواجه عراقيل مختلفة من قبل المتشددين) وايضا باتت القوميات غير الفارسية تنشر صحفها المحلية تطرح فيها الامها وقضاياها ومعاناتها ومشاكلها، وهذا قد شمل العرب ايضا لكن بتأخير. فعلى سبيل المثال بدأ العرب ينشرون صحيفتين باللغتين العربية - الفارسية في عام 1379 ايراني (2000 م) الاولى شهرية والثانية اسبوعية، لكن كما ذكرت ان هذه الصحافة هي اقل ما منح للعرب. فصحيفتان نصف عربية ونصف فارسية لاكثر من 3 ملايين نسمة هي نسبة متواضعة جدا. نحن بحاجة الى 10 صحف بين يومية واسبوعية وشهرية لنلبي حاجات كل هؤلاء الثلاثة ملايين نسمة. فالكويت تعدادها مليون ونصف المليون نسمة عندها 10 صحف يومية فقط والعديد من المجلات والفصليات والدوريات. فالشيء الذي تم كان خطوة على الطريق وانجازا ينبغي الاحتفاظ به، لكن ايضا يجب التوسع والتطور في مجال الصحافة والثقافة العربية في محافظة خوزستان (الاهواز).

قضية الحظر

فهناك قضايا تبدوا بسيطة لكنها مهمة في الوقت نفسه مثل الحظر المفروض على ابناء شعبنا العربي في تسمية اسماء مواليدهم باسماء عربية غير دينية، فهم مثلا يمنعوننا في دوائر سجل الاحوال الشخصية من تسمية اطفالنا باسماء كـ(طارق) و(نبيل) و(خالد) و(وليد) و(ميساء) و(رانيا) و(ونسة).. الخ ويطلبون منا ان نسمي مثلا اطفالنا (كيومرث) و(كامبيز) و(بريسا) و(تهمينه)... الخ. وهي اسماء لا تستطيع امهاتنا وآباؤنا التلفظ بها لعدم ملائمتها لثقافتنا ومناخنا العربي. ونحن نسأل حلفاءنا من الاصلاحيين كيف تبررون هذا الظلم الجلي وانتم تسيطرون على وزارة الداخلية التي تشرف على دوائر سجل الاحوال الشخصية في البلاد؟

والتسمية هي من ابسط حقوق الانسان في العالم، فنرجو منهم الاهتمام بهذا القضية، فلماذا تحرموننا من تسمية أبنائنا واطفالنا بالاسماء العربية الاصيلة؟

واذكر هنا نقطة تبين لكم مدى المؤامرات التي كان يحيكها القوميون في عهد الشاه لتشويه هوية العرب في هذه المنطقة. فلما احتل قسم من الشباب في شباط (فبراير) عام 1979 أي في عز الثورة ضد النظام السابق دوائر مؤسسة الاستخبارات التابعة لنظام الشاه والمعروفة بالسافاك في الاهواز حصلوا على وثائق تفيد بان السافاك كان يطلب انذاك من دوائر الاحوال الشخصية في مدن محافظة خوزستان (الاهواز) ان يضيفوا كلمات فارسية مثل (بور) او (زاده) او (نجاد) للالقاب العربية. فعليه نحن عندنا حاليا القاب بين العرب الاهوازيين كـ(بورطائي) اي ابن الطائي و(جرفي نجاد) اي الجرفي الاصل و(طرفي زاده) أي الابن الطرفي.

فقد اكتشفنا فيما بعد ان النظام الشوفيني الشاهنشاهي كان يقصد من ذلك الادعاء بعد قرن او اكثر بان هؤلاء الاهوازيين ليسوا عربا بل انهم يحملون ألقاباً ذات صبغة فارسية. ويبدو ان القوميين الفرس وبمخططاتهم الشيطانية كانوا يفكرون باشياء لم تخطر الى بال الاخرين.

فلذا نحن نطلب من القوى الاصلاحية والديمقراطية ان يقوموا بتصحيح هذه الاخطاء اذا هم في الواقع لم يؤيدوا خطط السافاك. فنحن لا نطالب بشيء كبير بل نطالبهم ان يسمحوا لنا بتسمية مواليدنا بما نريد ونرغب باسماء ابطالنا وشخصياتنا التاريخية. فانا اتساءل هل طارق بن زياد هو شخصية عادية؟

أليس هو الذي فتح اسبانيا والاندلس ووسع رقعة الامبراطورية الاسلامية؟ فلماذا يمنعوننا من تسمية اولادنا باسم طارق وزياد ونبيل وما شابه ذلك؟ كما هناك اسماء المدن والقرى والحارات والشوارع التي تم تفريسها في عهد الشاه ومع الاسف على الرغم من مرور كل هذه الاعوام من قيام الثورة الاسلامية حتى الان لم تعد الى اسمائها العربية التاريخية بل ان التفريس شمل مدناً وقرى اخرى في المحافظة.

أسماء تاريخية

وانا اتساءل لماذا شخصية سياسية بارزة مثل السيد هاشمي رفسنجاني يطرح من على منبر صلاة الجمعة (في تشرين الاول (اكتوبر) عام2000) ويقول ان العراق هو الذي غير اسماء خرمشهر الى المحمرة وآبادان الى عبادان. وانا بعثت له رسالة في نفس الوقت نشرت في بعض الصحف الايرانية وقلت له انه لا النظام العراقي ولا النظام السوري ولا اي نظام عربي اخر لم يطلق هذه الاسماء بل هي اسماء تاريخية موجودة حتى في المصادر الفارسية ووثائق وزارة الخارجية الايرانية اكثر من اي مصدر عربي او انكليزي اخر. والانكى من ذلك ان السيد رفسنجاني نفسه سبق ان نشر كتابا باسم (امير كبير وايران) ترجم الى العربية يذكر فيه هذه الاسماء العربية عندما يتطرق الى معاهدات ارضة الروم الاولى والثانية بين امير كبير المستشار الايراني في عهد الشاه ناصر الدين القاجاري وبين الحكومة العثمانية.

وقد قام مجمع اللغة الفارسية - الذي كان الشوفينيون الفرس يهيمنون عليه - في عهد الشاه رضا البهلوي وبالتحديد في عام 1935 بتفريس اسماء هذه المدن.

فالمصادر الفارسية التاريخية وغير التاريخية خلال 5 قرون كانت تذكر اسماء عربستان والمحمرة وعبادان والفلاحية والخفاجية ومعشور.. الخ. ولم نشاهد خلال هذه الفترة التاريخية (من القرن السادس عشر حتى القرن العشرين) الاسماء الجديدة المفرسة التي اطلقت قبل نحو 60 او 70 سنة.

وهناك طريقة قانونية لعودة اسماء هذه المدن الى اصلها التاريخي العربي حيث نقترح ان يقوم مجلس الشورى الاسلامي اي البرلمان الايراني بهذا الواجب، وتقع المسؤولية على عاتق المندوبين العرب الاهوازيين في تقديم لائحة في هذا المجال الى البرلمان. كما ينبغي ان نؤكد مطالبتنا باجراء المادة 15 و19 من الدستور الايراني.

والاولى تتعلق بتدريس اللغة العربية في المدارس (الابتدائية والثانوية) والثانية تؤكد على نفي التمييز والمساوات بين القوميات والاثنيات المختلفة في البلاد.

أسئلة الحاضرين في الندوة

□ ما هو موقفكم من لجنة الوفاق الاسلامي ودعم التيار الاصلاحي في ايران؟

- انا من الاشخاص الذين طالبوا ولايزال اطالب بانشاء مؤسسات مدنية ومنها المؤسسات السياسية والثقافية المستقلة في ايران وفي مجتمعنا العربي. ولجنة الوفاق الاسلامي لا تخرج من هذا الاطار. وهي كمؤسسة مدنية تسعى لارتقاء الوعي السياسي والثقافي والاجتماعي وتطويره بين ابناء شعبنا. فهي في الواقع طليعة ظهرت في اعقاب وصول السيد خاتمي الى رئاسة الجمهورية في ايران عام 1997.

ونتمنى ان تتكاثر من امثالها هنا في الاهواز وسائر مدن المحافظة.

وعلاوة على لجنة الوفاق علينا ان نشكل جمعيات طلابية لانكم تعرفون ان طلاب الجامعات هم قدوة المجتمع وطليعته الشابة وهم الماكنة التي تحرك معنوياته.

ويوجد لدينا في الوقت الراهن اكثر من 6 الاف طالب عربي اهوازي في جامعات محافظة خوزستان (الاهواز) وسائر مناطق ايران، فعلى هؤلاء ان ينتظموا ويشكلوا جمعياتهم واتحاداتهم ومؤسساتهم المهنية. كما يجب ان نشجع نساءنا لانشاء جمعيات نسائية وايضا على الشعراء والكتاب والصحفيين العرب ان يتحركوا ويؤسسوا منظماتهم واتحاداتهم. وانا أعني هنا المؤسسات المدنية المستقلة لانني اعرف هناك ثمة جمعيات للشعراء والادباء العرب في بعض المدن ينقصها الاستقلال والمبادرة. وهذا الشيء مطروح من قبل الرئيس خاتمي والحكومة الاصلاحية علينا ان نطبقه على مجتمعنا الاهوازي.

كما يمكن لنا الا نهمل القوى العشائرية الموجودة وان ننظم الفئات الوطنية منها، ونحن نعرف ان هناك نسيجاً عشائرياً بالامكان تنظيمه والاستفادة منه لصالح قضايانا القومية في المحافظة ولصالح كل المجتمع المدني في ايران.

□ يرجى التطرق الى موضوع المساعدات الاقتصادية من أجل تطوير الثقافة العامة، وهل هناك مسؤولية على عاتق الطبقات الغنية الاهوازية ان تساعد الكتاب والمثقفين وحتى مساعدة الطلاب للدراسات العليا؟

- يجب على الميسورين من ابناء مجتمعنا ان يساعدوا المعوزين من طلبة ومؤسسات ثقافية وصحفية.. الخ، لان ديننا وتقاليدنا وثقافتنا تؤكد هذا الامر، ولكي نواكب العصر ونواكب حركة سائر الشعوب الايرانية ينبغي ان نقوم بمثل هذه الاعمال. لكن مع الاسف لا نشاهد حاليا حركة واسعة في هذا المجال من قبل ميسوري واغنياء شعبنا.

□ هل تعتقد بان الاصلاحيين صادقون ازاء الشعب العربي الاهوازي؟ وكيف تقيم موقفهم بالنسبة للمادة 15 من الدستور الايراني؟

- : برأيي ينبغي علينا كعرب ان نقيم فترة الاصلاحات تقييماً موضوعياً وندرس الحصيلة التي وصلنا اليها، أي نتساءل اينما كنا واين وصلنا؟

كان هناك خطاب عنصري شوفيني معاد للعرب سائد في عهد الشاه حيث كان يصفنا بـ(الكواولة) - اي الغجر - تارة وكان ينفي وجودنا تارة أخرى.

بعد قيام الثورة انفتحت الاجواء لكن ذلك الخطاب القائم على التمييز والتحقير لم ينتف نهائيا.

فانتخاب خاتمي اوجد فرصة لطرح الاراء المختلفة على بساط البحث، وانا اقول لكم ان الاصلاحيين مهما كانوا لا يمكن ان يحلوا مكاننا في متابعة مطالبنا القومية.

فالخطاب الاصلاحي يتكون من 3 عناصر: العنصر القومي الفارسي والعنصر الديني الاسلامي والعنصر الديمقراطي، يعني اذا شبهنا الخطاب الاصلاحي الفارسي الايراني بدائرة فهذه الدائرة تنقسم الى 3 اقسام: قسم في هذا الخطاب هو العقلية القومية الفارسية والعقلية الدينية والعقلية الديمقراطية. فالقسم الاول من هذا الخطاب ليس لصالحنا فيبقى الديني والديمقراطي. والقسم الديني في هذا الخطاب يقربنا لهم ويقربهم لنا باعتباره ينتمي الى خطاب عربي تقليدي بما فيه اللغة العربية والقرآن والعبادات وما شابه ذلك من مناسك اسلامية أساسها عربي.

وتوجد لهؤلاء الاصلاحيين ايضا اتجاهات ديمقراطية ازاء الحريات وقضية القوميات حيث يمكن لنا ان نستغلها لصالح قضايانا الاجتماعية والسياسية.

واذكر انه يمكن بمرور الزمان ان تحدث تغيرات في صفوف الاصلاحيين مستقبلا اي يمكن ان تتجه فئات من التيار الاصلاحي الى القوميين أي تضعف فيهم الاتجاهات الدينية والديمقراطية وتتعزز الاتجاهات القومية الفارسية.

وفي عملية الأخذ والعطاء بيننا وبين الاصلاحيين ينبغي لنا ان نطلب منهم ونوضح ونشرح لهم مطالبنا لنستطيع الاخذ منهم لان الحق يؤخذ ولا يعطى.

وانتم تتذكرون الرسالة المعروفة بـ(رسالة الـ770) التي ارسلت للرئيس خاتمي في حزيران الماضي والتي وقعها 770 مثقفاً وكاتباً وشاعراً من القوميات الايرانية المختلفة كان معظمهم من عرب الاهواز. وقد رد عليها خاتمي في ملعب (شيرودي) في طهران واثناء حملته الانتخابية حيث اعترف بالقصور في تطبيق المادة 15 من الدستور الايراني وقال انه سوف يطبقها.

كما علينا ان نحاسب الرئيس على الوعود التي قطعها لتنفيذ هذه الفقرة المهمة بالنسبة لنا والقوميات الاخرى من غير الفرس.

الاعتماد على النفس

نحن بالدرجة الاولى يجب ان نعتمد على انفسنا وبالدرجة الثانية على حلفائنا بين القوميات الايرانية غير الفارسية وبالدرجة الثالثة على القوى الاصلاحية والديمقراطية في المجتمع الايراني. نحن لا نتوقع من هؤلاء تأييد مطالبنا مائة في المائة ونتجاوب معهم ونسايرهم حتى في حدود الخمسين او الثلاثين او العشرين في المائة.

هناك قوى سياسية مختلفة على الساحة الايرانية في الداخل والخارج بعضها يؤيد حقوق القوميات وبعضها يرفض. فعلى سبيل المثال هناك قوى سياسية تنفي وجودنا كعرب أساسا مثل القوى القومية الفارسية المتطرفة كحزب (بان ايرانيست) وحزب الامة الايرانية أي حزب (ملت ايران) والجبهة الوطنية وقس على ذلك. هذه القوى لم تعترف بشيء اسمه قوميات وتعترف بامة ايرانية واحدة بلغة وثقافة واثنية واحدة وتنفي بتاتا اي تعددية اثنية وثقافية في ايران.

فعلينا الا نكون اغبياء كي نعرف حلفاءنا واصدقاءنا من اعدائنا، هذه قضية مهمة حيث علينا ان نبتعد عن الذهنيات والمثاليات في تقييمنا لوضعنا كقومية عربية ووضع بلادنا ايران.

- السؤال الرابع: هل سبب تأخر عرب اهواز شخصية واداء الشيخ خزعل؟

- هكذا تحليل باربي هو تبسيط للقضية. هناك اسباب وعوامل دولية واقليمية وايرانية ومحلية عربية اهوازية ادت الى تأخرنا ثقافيا واجتماعيا.

لا شك ان تحليل شخصية الشيخ خزعل وهو اخر حاكم عربي لمحافظة خوزستان (الاهواز) وتقييم مواقفه تتطلب مقالات بل وكتباً. لكن الشيخ خزعل وفقا لما قرأناه في الكتب الفارسية والعربية وما سمعناه من أبائنا كان ينتهج نوعاً من الدبلوماسية ونوعاً من المناورات المؤثرة ونوعاً من البرغماتية في علاقاته مع القوى العالمية الكبرى في عهده كبريطانيا والحكومة القاجارية في ايران. فعليه استطاع الشيخ ان يحكم هذه المحافظة لمدة 28 عاما وقد رشح من قبل البريطانيين ملكا للعراق في العشرينيات من القرن المنصرم.

غير ان الشيخ خزعل الكعبي قد ارتكب اخطاء تجاه هذا الشعب حيث لم يقم بتثقيفه، فعلى سبيل المثال لم ينشئ لا صحف ولا مدارس خشية ارتقاء وعي الجماهير. كما كان يلعب على حبل التشتت القبلي الذي ابتلى به شعبنا سابقا وراهنا. فقد استغل الشاه رضا بهلوي هذا التشتت لضرب الشيخ وقضى على مشيخته في عام 1925 التي كانت تحظى بنوع من الحكم الذاتي في عهد السلالة القاجارية.

باعتقادي ان قضية التشتت العشائري والقبلي هي من اهم عوامل تأخر شعبنا العربي الاهوازي. فعلينا تحدي العلاقات العشائرية في العمل السياسي والثقافي ويجب ان نبعد هذه العلاقات عن النشاط السياسي والثقافي ونقيدها بحدودها الاجتماعية.

فقد لعبت القضايا العشائرية دورا رئيسيا في تخلف شعبنا في عهد الشيخ خزعل وفي عهد الشاه رضا بهلوي وابنه محمد رضا بهلوي والبعض منكم يتذكر كيف استخدم الشاه المخلوع العديد من الشيوخ ورؤساء القبائل لمصلحته وبامكاني الادعاء بان اكثر من 90 في المائة من الشيوخ كانوا في خدمة جهاز الامن الشاهنشاهي (السافاك) لخدمة اغراضه المعادية لطموحات شعبنا وسائر الشعوب الايرانية. ومع الاسف - كما قلت سابقا - ان العلاقات العشائرية موجودة في مجتمعنا العربي حيث يجب تطويرها والعمل على عصرنتها ودمقرطتها والحد من دور الشيوخ الفردي فيها وتشجيع الزعامة الشورووية فيها، اي ان تكون مجالس تقود العشائر والطوائف وليس شيوخاً ذات عقلية عشائرية فردية دكتاتورية. والى جانب ذلك نبذل كل جهدنا لتأسيس المؤسسات المدنية الخاصة بنا.

هاشمي رفسنجاني (الزمان)

أحد الأسواق الشعبية في الأهواز (الزمان)